دراسات فنية
مخبر الفنون والدراسات الثقافية
جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان
Algerian Scientific Journal Platform
مخبر الفنون والدراسات الثقافية

المجلد: 12 العدد: الأول (2025) ص 161 / 171

المقاربة السيميائية المغاربية المعاصرة ومجالات تطبيقها

رشيد بن مالك، سعيد بنكراد أنموذجا

The Contemporary Maghrebi Semiotic Approach and its Fields of Application: Rachid Benmalek and Saïd Benckrad as Models

ط د قادري اقويدر [1]، المشرف أ زاوي لعموري [2]

[1] مخبر الخطاب الصوفي في الأدب واللغة، جامعة الجزائر 2 ابو القاسم سعد الله ghadri.kouider@univ-alger2.dz

[2] مخبر الخطاب الصوفي في الأدب واللغة، جامعة الجزائر 2 ابو القاسم سعد الله amourizaoui@yahoo.fr

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2025 / 11 / 03
تاريخ القبول:
2025 / 11 / 12

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الكلمات المفتاحية:المقاربة السيميائية
- ✓ الكلمات المفتاحية: رشيد بن مالك
- ✓ الكلمات المفتاحية: سعيد بنكراد
- ✓ الكلمات المفتاحية:نقد النقد

الملخص: (لا يتجاوز 10 اسطر)

يسعى هذا المقال إلى الكشف عن ملامح المقاربة السيميائية المغاربية المعاصرة، وتقييم مدى نجاحها في تأسيس نموذج تحليلي يجمع بين دقة المنهج الغربي وخصوصية الأنساق الثقافية العربية، وذلك عبر دراسة مقارنة لمشروعي الدكتور رشيد بن مالك والدكتور سعيد بنكراد باعتبارهما أبرز نقطتي ارتكاز في هذا الحقل المعرفي. باعتبار المقال قراءة في مشروعي النّاقدين فهو يندرج ضمن نقد النّقد.

Article info

Received
Accepted
Accepted
Accepted

Keywords:
Keyword semiotic approach
Keyword Rachid Benmalek
Keyword Saïd Benckr
Keyword: critique of critique

Abstract : (not more than 10 Lines)

. This article aims to reveal the features of the **contemporary Maghrebi semiotic approach** and evaluate its success in establishing an analytical model that merges the **precision of Western methodology** with the **specificity of Arab cultural systems** (or *Ansaq*). This is achieved through a **comparative study** of the projects of **Dr. Rachid Benmalek and Dr. Saïd Benckrad**, given that they represent the two most prominent **pivots** (or *points of reference*) in this epistemological field. Considering that the article constitutes a reading of the two critics' projects, it falls under the domain of **meta-critique** (or *critique of critique*).

المقدمـــــــــــــة

شكلت السيميائية بمختلف مدارسها – سواء كانت سيميولوجيا سوسيرية أو سيميوطيقا بيرسية – منعرجاً حاسماً في تاريخ العلوم الإنسانية، فقد تجاوزت حدود اللغة لتمتدَّ إلى كل الظواهر الثقافية التي يمكن أن تنتج معنى، من النص الأدبي إلى الصورة والإشهار. وعلى الصعيد المغاربي، لم يكن التَّفاعل مع هذه النظرية مجرد نقل، بل تحوَّل إلى **إجراء وتأصيل**، حيث عمل النقاد والباحثون على تكييف أدواتها ومفاهيمها مع خصوصية المتن الثقافي العربي.

وقد برزت في هذا السياق مشاريع سيميائية رائدة حاولت، إلى جانب التنظير، بناء مدوّنة تطبيقية عربية خالصة، وعلى رأس هؤلاء يبرز اسمان لهما ثقلهما في المشهد النقدي المغاربي المعاصر: الدكتور **رشيد بن مالك** والدكتور **سعيد بنكراد**. فبينما اتَّجه الأول نحو تعريب المصطلح وتأصيل **السيميائيات السردية** ذات الأصل الغريماسي في دراسة التراث السردي والرواية، مال الثاني إلى **السيميائية التأويلية** البيرسية، وتوظيفها في تحليل الثقافة والصورة ، مما أدى إلى ظهور مقاربة سيميائية مغاربية معاصرة متعدِّدة المرجعيات والآفاق .

الإشكـــــــالية المحورية

تنطلق هذه الدراسة من فرضية أساسية ترى أن المقاربة السيميائية المغاربية المعاصرة لا تمثِّل تكراراً أو استنساخاً للنظريات الغربية الأم، بقدر ما هي **حقل إجرائي وتأويلي** سعى إلى تبيئة المفاهيم وتخصيص التطبيقات بما يتواءم مع المتن الثقافي العربي. وفي هذا الإطار، تتجلى الحاجة إلى دراسة المشروع النقدي لكل من رشيد بن مالك وسعيد بنكراد باعتبارهما **نقطتي ارتكاز** تتباين فيهما المرجعيات (الغريماسية/البيرسية) وتتكامل فيهما مجالات التطبيق (السرد/الثقافة والصورة).

وعليه، يمكن بلورة الإشكالية الرئيسية لهذا البحث في السؤال المحوري التالي:

– إلى أي مدى استطاعت المقاربة السيميائية المغاربية المعاصرة، من خلال مشاريع رشيد بن مالك وسعيد بنكراد، أن تؤسس لنموذج تحليلي يجمع بين دقة المنهج الغربي وخصوصية الأنساق الثقافية العربية، وما هي مجالات الإضافة النوعية التي قدمها الباحثان في حقول السرد والمصطلح والتأويل؟

1– السيميائية المغاربية: السياق النظري وإشكالية المصطلح (الجذور والتأصيل)

1-1– المسار التكويني والمقاربة النظرية للسيميائية المغاربية

1-1-1– المرجعيات التأسيسية: التفاعل مع المدرسة السيميولوجية والسيميوطيقية

شهدت الساحة النقدية العربية والمغاربية، منذ نهاية ستينيات القرن الماضي وبداية السبعينيات، تحولاً معرفياً جذرياً قادته المناهج اللسانية والبنيوية، وكان للسيميائية، بصيغتيْها التأسيسيتين، نصيب وافر في هذا التحول . فالمرجعية السوسيرية، التي اصطُلح على تسميتها بـ **"السيميولوجيا"**، وضعت الأسس لـ علم يدرس حياة العلامات حضن الحياة الاجتماعية ، وقد أثر هذا التصور في المراحل المبكرة من التلقي المغاربي، خاصة عبر الترجمات المتأخرة لأعمال سوسير.

بالمقابل، مثّلت المرجعية الأمريكية، المتمثِّلة في فلسفة تشارلز ساندرز بيرس، ثقلاً موازياً وعمقاً تأويلياً واسعاً، وهي التي عُرفت بـ **"السيميوطيقا"**. ففي حين ركزت الأولى (سوسير) على **"العلامة الثنائية"**، اتجهت الثانية (بيرس) إلى **"العلامة الثلاثية"** التي تربط بين الموضوع والتمثل والمؤول ، ما فتح آفاقاً أرحب لتحليل الأنساق الثقافية والتداولية. " و رؤية جديدة في التعاطي مع الشأن الانساني، وفي صياغة تخومه، وتحديد حجمه، وقياس امتداداته في ما يحيط به " (سعيد بنكراد 2012)

لقد كان المشهد المغاربي، بحكم قربه الجغرافي والثقافي من أوروبا، أكثر انفتاحاً على تطورات مدرسة باريس السيميائية (أ.ج. غريماس وتلامذته)، والتي سعت إلى بناء سيميائية سردية ودلالية متكاملة، تُعد امتداداً للسيميولوجيا السوسيرية، لكنها اكتسبت آلياتها وإجراءاتها الخاصة. هذا التفاعل المركب، بين الانفتاح على الأصول السوسيرية والبيرسية، وتعميق التجربة الإجرائية الغريماسية، هو ما أسس لمرجعية نظرية معقدة ومتباينة في المشاريع المغاربية، وهو ما يتجلى بوضوح عند دراسة جهود بن مالك وبنكراد.

1-1-2- السياق المعرفي لانتقال السيميائية: دور الترجمة والتأليف الجامعي

لم تكن السيميائية لتستقر في الخطاب النقدي المغاربي لولا جهود الترجمة الرائدة والتأليف الجامعي المؤسس. وقد تمثل الدور الرئيسي لهذه الجهود في تجاوز مرحلة الإلمام السطحي بالنظرية إلى مرحلة **التملّك الإجرائي**. فالمشروع السيميائي المغاربي لم ينطلق من فراغ، بل وُلد في سياق كان يطمح إلى تجاوز النقد الانطباعي والتاريخي نحو مقاربة علمية وموضوعية للنصوص والأنساق.

وفي هذا الإطار، نهض عدد من النقاد، ومن بينهم سعيد بنكراد نفسه، دور المترجم والمبسِّط للمفاهيم السيميائية المعقدة، فكانت الترجمة بمثابة **جسر معرفي** ضروري لنقل الأدوات النظرية من لغاتها الأصلية إلى العربية، مع ما يرافق ذلك من تحديات في **تعريب المصطلح** . هذا التوطين لم يكن مجرد عملية لغوية، بل كان عملاً معرفياً هدفه تجهيز الباحثين والطلاب بالأدوات الضرورية للتحليل." لا نستطيع أن نقدم قراءة في مستقبل السيميائية في العالم العربي، وعناصر إجابة استشرافية للمستقبل ما لم نعاين واقع البحث في الدراسات السيميائية الراهنة في ضوء المستجدات في الفكر الأوربي المعاصر" (رشيد بن مالك 2006) تمهيداً للمرحلة التي سيقودها الباحثان رشيد بن مالك وسعيد بنكراد، وهي مرحلة التخصص في حقلين سيميائيين متمايزين: السيميائية السردية والسيميائية التأويلية الثقافية.

1-1-3- . خصائص المقاربة المغاربية: بين الالتزام بنظرية محددة والبحث عن الانفتاح المعرفي

تتميز المقاربة السيميائية المغاربية المعاصرة بمجموعة من السمات التي تُميزها عن حركات التلقي في مناطق عربية أخرى، ويمكن تلخيص أبرز هذه الخصائص فيما يلي:

أ- التأسيس النظري والتنوع المرجعي:

لم تكتفِ المقاربة المغاربية بترجمة النصوص السيميائية فحسب، بل اتجهت نحو **الاجتهاد في التأسيس النظري**،" منهجا وتصورا ونظرية وعلما لا يمكن الاستغناء عنه لما أظهره عند الكثير من الدارسين والباحثين من نجاعة تحليلية وكفاءة تشريحية في شتى التخصصات" (**محمد فليح الجبوري** 2013) حيث ظهرت محاولات واضحة لإنتاج نصوص جامعة تُعيد بناء المفاهيم السيميائية في سياق نقدي عربي. هذا التأسيس ارتبط بالتنوع المرجعي؛ إذ لم يقتصر الباحثون على مدرسة واحدة، بل تراوح الاهتمام بين **السيميائيات السردية** (المقادة بمنهج غريماس) و**السيميائيات التأويلية** (المتأثرة ببيرس)، وهو ما سنراه تحديداً عند رشيد بن مالك وسعيد بنكراد على التوالي.

ب- التكييف الثقافي والإجرائية التطبيقية:

تُعد الإجرائية التطبيقية سمة جوهرية للمشروع السيميائي المغاربي؛ فقد كان الهدف الأسمى للعديد من الباحثين هو الخروج من شرنقة التنظير المجرد إلى فضاء **تحليل المتن الثقافي العربي الأصيل**. فظهرت دراسات رائدة تناولت نصوصاً سردية قديمة، وأنساقاً ثقافية غير لغوية (كالطقوس، الفنون، والعمارة) باستخدام الأدوات السيميائية، مما دلّ على سعي حثيث نحو **التكييف الثقافي** لأدوات التحليل، بما يُفضي إلى قراءة العلامات المحلية في ضوء نظرية عالمية.

ج- إشكالية تعريب المصطلح والتداول الأكاديمي:

على الرغم من النجاحات الإجرائية، ظلت إشكالية **توحيد المصطلح السيميائي** تمثل تحدياً كبيراً. " وقد عُرف له عندنا من خلال استقراء الصور المختلفة ثمانية عشر اسما " (محمد العبد1999) ،"وتتمثل في :السميوطيقا أو السميوتيقا، السميولوجيا، علم البلاغات، العلامة، العلاميات، العلامائية، السيمياء، علم السميائيات، علم الأدلة، علم الدلائل، الدلائلية، علم الإشارات، الإشارية، علم الرموز، والأعراضية.. (محمد العبد1999)"

فبين تعدد المدارس وتداخل المصطلحات المترجمة، ظهرت الحاجة إلى تجميع هذه الجهود في مدونات متخصصة. وهنا يبرز الدور المحوري الذي اضطلع به باحثون مثل رشيد بن مالك، الذي كرس جزءاً من مشروعه لمعالجة الفوضى المصطلحية . هذا التركيز على المصطلح لم يكن عملاً لغوياً عابراً، بل كان محاولة لتنظيم وتأطير الحقل المعرفي كاملاً، لتمكين التداول الأكاديمي السليم داخل الجامعات والمؤسسات البحثية.

1-2- رشيد بن مالك وتحدي تأصيل المصطلح السيميائي

1-2-1- المرجعيات المعرفية والمنهجية: الالتزام بسيميائية غريماس

يُعد الدكتور رشيد بن مالك أحد الأعلام البارزين الذين ارتبط اسمهم بالمنهج السيميائي في الجزائر والمغرب العربي، ويتميز مشروعه بـ **التخصص الدقيق** و**الالتزام المنهجي** بسيميائية مدرسة باريس، وتحديداً بنظرية **ألجيرداس جوليان غريماس** (Algirdas Julien Greimas). ففي الوقت الذي شهد فيه المشهد النقدي انفتاحاً على مدارس متعددة، آثر بن مالك تعميق العلاقة بالمنهج الغريماسي في دراسة السرد، بوصفه إطاراً نظرياً وإجرائياً متكاملاً (رشيد بن مالك 2000) .

لقد انطلق بن مالك من الاقتناع بأن الإجراء السيميائي الفعال للنصوص العربية يستلزم التسلح بآليات تحليل صارمة تتيح تتبع مسار إنتاج المعنى من البنيات العميقة إلى التجليات السطحية. لذا، تُعد أعماله بمثابة تطبيق واعٍ ومنهجي لأدوات التحليل الغريماسي، مثل: **النموذج العاملي** (Modèle actantiel)، **والمسار السردي** (Parcours narratif)، و**المربع السيميائي** (Carré sémiotique) ، وقد شكلت هذه الأدوات الأساس الذي بنى عليه بن مالك مدونته التطبيقية ونظّر من خلاله لتصوراته حول النص السردي العربي.

1-2-2- جهود بن مالك المصطلحية: قاموس المصطلحات السيميائية أنموذجاً

يمثل الهاجس المصطلحي تحدياً مركزياً في نقل العلوم الإنسانية، ولعل أبرز إسهامات الدكتور رشيد بن مالك تكمن في تصديه لهذه الإشكالية، إذ رأى أن إتقان المنهج السيميائي لا يتحقق دون **توحيد أدواته اللغوية** و**تأصيل مفاهيمه** في العربية.وقد دعى إلى ترجمة " الأصول الأورو أمريكيّة: في مجال السيمياء كمرحلة أولى بدل من الكتب العربية النظرية في مجال السيميائية التي تزعم التأليف، رغم انها مجرد توليف مونتاجي، ليس للمؤلف فيه أيّ فكرة خاصة به بل هي مجموعة من الأفكار السيميائية الاوربية لهذا، فان الترجمة المبكرة لكسب الأصول السيميائية تبدو مهمة مستعجلة ومجدية."(ابنو و اخرون 2008)

وفي هذا السياق، يبرز مؤلفه "**قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (عربي-إنجليزي)**" باعتباره إنجازاً علمياً رياديا (رشيد بن مالك2000). ولم يكن هذا القاموس مجرد معجم للترجمة، بل مثّل محاولة جادة لتنظيم الحقل المعرفي للسيميائية السردية، حيث سعى إلى:

- **تثبيت مقابل عربي دقيق** للمصطلح الغربي، مع تفادي التعدد والالتباس في التسميات.
- **شرح المفهوم** وفقاً للسياق النظري الغريماسي، مما يخدم الباحثين المبتدئين والمختصين على حد سواء.
- **منح السيميائيين العرب أداة مرجعية موحدة** لتوحيد لغة الحوار الأكاديمي، وبالتالي، الارتقاء بالبحث السيميائي في الجامعات العربية.

1-2-3- المفاهيم المركزية في مشروعه السردي: من النموذج العاملي إلى البنيات الدلالية

في مؤلفاته، وخاصة *مقدمة في السيميائية السردية*، يركز بن مالك على مفاهيم محورية تشكل جوهر التحليل الغريماسي. إن فهم هذه المفاهيم وتطبيقها يمثل مدخلاً أساسياً لفك شفرات النصوص السردية:

أ- **النموذج العاملي (Le Modèle Actantiel)**: يشدد بن مالك على أهمية تفكيك القوى الفاعلة في النص السردي، وتحديد وظائفها (الذات، الموضوع، المرسل، المرسل إليه، المساعد، المعيق)، بوصفها تمثيلاً للبنية العميقة للمشروع السردي .

ب- **المسار السردي (Le Parcours Narratif)**: وهو تحليل تسلسل الأفعال والبرامج السردية، وكيفية انتقال الذات من حالة إلى حالة، وصولاً إلى تحقيق القيمة أو فقدانها.

ج- **المربع السيميائي (Le Carré Sémiotique)**: يُستخدم كأداة لتحليل البنية الدلالية العميقة، وفهم العلاقات المنطقية بين المتناقضات والمتضادات في النص، ومن ثم استخلاص الإيديولوجية الكامنة في الخطاب.

إن هذا الإخلاص المنهجي، المقترن بالعمل المصطلحي، هو ما منح مشروع رشيد بن مالك ثقله الأكاديمي وجعله أنموذجاً يُحتذى به في سيميائيات السرد بالمنطقة المغاربية.

1-3- البناء المعرفي والمفاهيمي لمشروع سعيد بنكراد

1-3-1- التوجه نحو السيميائية التأويلية: الانفتاح على مرجعية بيرس

على النقيض من المسار الذي اختاره رشيد بن مالك في الالتزام بسيميائية غريماس السردية، اختار الدكتور سعيد بنكراد التوجه نحو **السيميائية التأويلية (Semiotics of Interpretation)**، مُركزاً جهوده على نظرية الفيلسوف والمنطقي الأمريكي **تشارلز ساندرز بيرس** (Charles Sanders Peirce). يمثل هذا الاختيار تحولاً نوعياً في المقاربة المغاربية، حيث ينقل الاهتمام من تحليل البنيات العميقة الثابتة (عند غريماس) إلى تحليل **آلية إنتاج المعنى** و**ديناميةالتأويل** (السيميوزيس) في سياقها الثقافي والتداولي .

لقد رأى بنكراد أن سيميائية بيرس، القائمة على النموذج الثلاثي للعلامة (التمثل، الموضوع، والمؤول) , تتيح قدراً أكبر من المرونة في التعامل مع الأنساق غير اللغوية والظواهر الثقافية الواسعة. فقد كان انحيازه "المطلق إلى سميائيات تأويلية، ترى في النص خزانا من الاحتمالات الدلالية، لا تجميعا كميا لعلامات عرضية الوجود والاشتغال " (سعيد بنكراد 2012) ، ومن ثم وسع مشروعه ليشمل حقولاً تتجاوز حدود النص الأدبي المغلق، مثل: الصورة، والإشهار، والممارسات الثقافية.

1-3-2- سعيد بنكراد ناقداً ومترجماً: دور التبسيط ونقل المعرفة

لم يكتفِ بنكراد بكونه سيميائياً مطبقاً، بل اضطلع بدور المترجم والمبسط للمفاهيم السيميائية التأويلية المعقدة، فكانت الترجمة لديه جزءاً أصيلاً من مشروعه المعرفي. لقد عمل على نقل أمهات الكتب الغربية إلى القارئ العربي، وهو ما ساعد في إرساء قاعدة نظرية متينة لهذا الفرع من السيميائية.

إن هذا الدور المزدوج (ناقد/مترجم) جعله مرجعاً أساسياً في فهم العلاقة الجدلية بين العلامة والمؤول، وساهم في **تقريب الفكر السيميوطيقي البيرسي** من الطالب والباحث العربي، رغم صعوبته المفاهيمية. ويبرز ذلك في تعريفه للسيميائية على أنها ليست سوى "تساؤلات تخص الطريقة التي يُنتِج بها الإنسان سلوكياته؛ أي معانيه، والطريقة التي يستهلك بها هذه المعاني" (سعيد بنكراد 2012) . هذا التبسيط الهادف يهدف إلى ربط السيميائية بالحياة اليومية والممارسات الثقافية، بعيداً عن حصرها في إطار لساني أو سردي ضيق.

" والفيلسوف جون لوك Locke أشار في القرن السابع عشر إلى السميوطيقا بوصفها النظام العلمي للعلامات، doctrime of signs أي النظام الذي ينظر في طبيعة العلامات، وكيف يقوم العقل بفهم الأشياء، أو شرح ما تعنيه للآخرين" (برونوين ماتن 2008)

1-3-3- مفاهيم السيميائية التأويلية في مشروعه: "السيميوزيس" و"الطوبيك"

اعتمد بنكراد في تحليلاته على شبكة من المفاهيم الأساسية المستمدة من بيرس وتلامذته، والتي استخدمها كعدسات تحليلية لرؤية العلامات في محيطها التداولي:

السيميوزيس (Semiôsis): يركز بنكراد على مفهوم السيميوزيس، بوصفه العملية الدينامية اللانهائية لإنتاج العلامات وتفسيرها، مشدداً على أن المعنى ليس ثابتاً، بل هو نتاج علاقة مستمرة بين الأطراف الثلاثة للعلامة . كما يقول بنكراد هو : "تصور متكامل للعالم.ذلك أن الإمساك بهذا الجانب باعتباره سلسلة لا متناهية من الأنساق السميائية، أي باعتباره علامات، يشير إلى استحالة فصل العلامة عن الواقع، مادام هذا الواقع نفسه ينظم إليه باعتباره نسيجا من العلامات، أي سلسلة من الإحالات التي تضمحل لحظة استيعابها في الفعل الإنساني" (سعيد بنكراد 2005)

هذا التركيز يبرر اهتمامه بالجوانب التداولية والثقافية.

- **مفهوم الطوبيك (Topic)**: وهو مفهوم أساسي في سيميائية بنكراد، حيث يمثل الموضوع أو القيمة المحورية التي تدور حولها العلامات في سياق معين. ويُستخدم هذا المفهوم كأداة للوصول إلى دلالة العلامات في الأنساق الثقافية، وتحليل كيفية بناء المجتمع لمعانيه المشتركة حول قضايا محددة.
- **أنواع العلامات (الأيقونة، المؤشر، الرمز)**: يوظف بنكراد تصنيف بيرس للعلامات (الأيقونة القائمة على التشابه، المؤشر القائم على التلازم، والرمز القائم على الاصطلاح) في تحليله لخطابات كالإشهار والصورة ، مبيناً كيفية توظيف هذه الأنواع في بناء المعنى الثقافي.

2- مجالات التطبيق ومناهج التحليل عند رشيد بن مالك وسعيد بنكراد

2-1- سيميائية السرد في مشروع رشيد بن مالك (تطبيق المنهج)

2-1-1- مرتكزات الإجراء السيميائي على النص السردي العربي

انطلاقاً من التزامه بالمنهج الغريماسي (كما فُصّل في الجزء السابق)، اتخذ الدكتور رشيد بن مالك من النص السردي، بتجلياته التراثية والحديثة، ميداناً لإجراء أدواته السيميائية. وقد استند هذا الإجراء إلى مرتكزين أساسيين:

- **الموضوعية المنهجية**: وهي محاولة الابتعاد عن القراءات الانطباعية والذاتية، والتركيز على الكشف عن البنية المنطقية والآلية الكامنة لإنتاج المعنى في النص (رشيد بن مالك 2000).
- **تعدد مستويات التحليل**: إيماناً بأن السرد طبقات، اعتمد بن مالك على مبدأ الانتقال التدريجي في التحليل، بدءاً من **البنيات السردية العميقة** (القيم والعلاقات المنطقية)، مروراً بـ **البنيات السردية السطحية** (الأدوار العاملية والبرامج السردية)، وصولاً إلى **بنيات الخطاب** (التجلي اللغوي والمحاكاة).

2-1-2- دراسة تطبيقية: توظيف النموذج العاملي في تحليل التراث السردي

برزت أهمية المقاربة الإجرائية عند بن مالك في قدرته على تطبيق النموذج الغريماسي على مدونة سردية عربية غنية، ومن أبرزها نصوص **التراث السردي** التي تتميز بكثافة دلالية معقدة. ففي تحليله لهذه النصوص، يركز بن مالك على تفكيك **المستوى العاملي** للكشف عن شبكة العلاقات بين القوى الفاعلة:

- **الذات والموضوع**: تحديد القيم الأساسية التي يسعى إليها بطل السرد، والتي غالباً ما تكون قيم دلالية أو وجودية (مثل: المعرفة، العدل، الحرية).

- **المرسل والمرسل إليه:** تحديد الجهة المصدرة والمستقبلة للقيمة، وهو ما يكشف عن نظام القِيَم والأنساق الإيديولوجية التي يحملها السرد.
- **المساعد والمعيق:** تحليل القوى التي تسهل أو تعرقل تحقيق المسار السردي.

إن إعادة قراءة هذه النصوص التراثية بمنظار سيميائي مكّنت بن مالك من استخلاص خطاطات سردية تُبرز **تكرار البنيات العميقة** رغم اختلاف التجلي السطحي للنصوص.

2-1-3- تحليل الخطاب الروائي المعاصر: الإجراء على النصوص المغاربية

لم تقتصر جهود بن مالك على التراث، بل امتدت لتشمل الخطاب الروائي الحديث والمعاصر في المغرب العربي، حيث طبق آلياته التحليلية على أعمال روائية بارزة (مثال: دراسته لبعض أعمال واسيني الأعرج).

في هذا الجانب التطبيقي، يركز بن مالك على مستويات تحليلية دقيقة :

- **سيميائية العتبات النصية:** دراسة دلالة العنوان، الغلاف، والمقدمات، بوصفها علامات مُكثفة تُوجه عملية القراءة والتأويل.
- **المسارات السردية المعقدة:** تفكيك البرامج السردية المتداخلة في الرواية المعاصرة، وتحديد كيف يتم التفاوض حول القِيَم الدلالية في سياق التحولات الاجتماعية والسياسية.
- **تحليل المستويات الدلالية العميقة:** استخدام المربع السيميائي لاستخلاص الدلالات الكبرى التي يقوم عليها النص، مثل العلاقة بين (الحياة/الموت) أو (الخير/الشر)، وتحديد الخيارات الإيديولوجية للخطاب الروائي.

إن هذا الإجراء الصارم والمفصّل أكسب مشروع بن مالك أهميته كأداة لا غنى عنها في تحليل السرد بصفة عامة، والسرد المغاربي بصفة خاصة.

2-2- سيميائية الثقافة والصورة عند سعيد بنكراد (توسيع المجال)

2-2-1- سيميائية التأويل والثقافة: انتقال الاهتمام من النص إلى السيميوزيس

شكل المشروع السيميائي لسعيد بنكراد نقطة تحول منهجية في الحقل النقدي المغاربي، حيث مثّل خياراً واعياً بالانتقال من سيميائية النص المغلق إلى **سيميائية الثقافة الواسعة**. ويرجع هذا الانزياح إلى اعتماده للمنظور البيرسي الذي يركز على مفهوم **السيميوزيس** (Semiôsis) بوصفه عملية لا نهائية لإنتاج وتفسير العلامات في سياقها التداولي .

لقد أكد بنكراد في العديد من مؤلفاته أن السيميائية ليست محصورة في الأنساق اللغوية، بل تمتد لتشمل كل الأفعال والسلوكات التي ينتج بها الإنسان معانيه ويستهلكها. وهذا ما يبرر اتجاهه لتحليل ظواهر ثقافية واجتماعية (كالأعراف، والطقوس، والصورة) بعيداً عن حصرها في البنية السردية الصارمة.

2-2-2- تحليل الخطاب غير اللغوي: سيميائية الصورة والإشهار

يُعد الاشتغال على **الصورة** و**خطاب الإشهار** من أبرز مجالات التطبيق الإجرائي في مشروع سعيد بنكراد. فبدلاً من تفكيك البنيات السردية كما يفعل بن مالك، يتجه بنكراد إلى تحليل العلاقة بين الأطراف الثلاثة للعلامة البيرسية (الأيقونة، والمؤشر، والرمز) داخل المتن البصري :

- **المستوى الأيقوني:** تحليل عنصر المشابهة في الصورة، وكيف يُنتج الإدراك الأولي للعلامة.
- **المستوى المؤشري:** الكشف عن العلاقة التلازمية والسببية بين العلامة والشيء الذي تشير إليه، وهو مستوى حاسم في خطاب الإشهار.

- **المستوى الرمزي:** تحليل الجانب الاصطلاحي والثقافي للعلامة، وكيف يتم استدعاء الأنساق المعرفية المشتركة في المجتمع لتفسير الرسالة البصرية (سعيد بنكراد 2006).

إن استخدام هذه الأدوات مكّن بنكراد من كشف الآليات الخفية التي يعمل بها الإشهار والتصوير في بناء الدلالات وإحداث التأثيرات الإقناعية والجمالية في المتلقي المغاربي.

هذه الآليات التي شهدت تطورا كبيرا "عبر التشكيل المكثف للدلالات التعبيرية عن المحتوى الموصوف، مع الاستخدام الجمالي والتقني المبهر في المشهد الواحد"(بوزيدي 2024) المضغوط بمجموعة من اللقطات المعبرة، "مجسدة طرق و اتجاهات لمدارس سينمائية وتصويرية عالمية، فالخطاب الإشاري بليغ بمظهره النصي، يعني فكرته قبل التجسيد، وهي أدبية سردية" (بوزيدي 2024).

2-2-3- سيميائية الثقافة: تحليل الأنساق الدلالية الاجتماعية

يُوسع بنكراد مجال تطبيقه ليشمل الأنساق الثقافية العميقة، ويستخدم في هذا الإطار مفهوم **الطوبيك** (Topic) كأداة للوصول إلى الدلالة المركزية المشتركة بين عدة ظواهر. فالطوبيك يمثل النقطة المحورية أو القيمة الأساسية التي تتشكل حولها منظومة العلامات في ثقافة معينة.

في هذا الجانب، يمكن رصد تحليلاته لمفاهيم كـ **الذات** و**الآخر**، أو العلاقة بين **المقدس** و**المدنس** في الثقافة العربية. فبنكراد لا يكتفي بوصف الظاهرة، بل يسعى إلى تفكيك العلامات السلوكية واللفظية التي تُبنى بها هذه المفاهيم، ومن ثم تأويل دلالاتها الاجتماعية والوجودية . هذا التحليل العميق للأنساق الثقافية يُظهر القوة التأويلية للمنهج البيرسي، ونجاح بنكراد في توطين أدواته داخل المشهد الاجتماعي المغاربي.

3- مقارنة المشاريع السيميائية: التميز والامتدادات المعرفية

3-1- أوجه التمايز والتقاطع بين مشاريع رشيد بن مالك وسعيد بنكراد

3-1-1- المقارنة المنهجية: سيميائية البنية (غريماس) مقابل سيميائية التأويل (بيرس)

تُعد المقارنة المنهجية هي النقطة الأكثر أهمية في هذا البحث ، إذ يتجلى التمايز الأساسي بين الباحثين في خياراتهما النظرية الصارمة:

معيار المقارنة	رشيد بن مالك	سعيد بنكراد
المرجعية الأم	سيميائية أ.ج. غريماس (مدرسة باريس).	سيميوطيقا تشارلز ساندرز بيرس.
جوهر التحليل	تحليل البنية العميقة والمنطق السردي الكامن في النص.	تحليل السيميوزيس وديناميةالتأويل في السياق التداولي.
مفهوم المعنى	المعنى كنتاج لـ العلاقات الداخلية البنيوية	المعنى كنتاج لـ العلاقات الخارجية التأويلية والثقافية.
مجالات التطبيق	النص الأدبي (السرد، الرواية، التراث).	الخطاب الثقافي (الصورة، الإشهار، الأنساق الاجتماعية) .

هذا التباين في المرجعيات أنتج مقاربتين متمايزتين؛ فبينما قدم بن مالك أداة صارمة ودقيقة للتحليل البنيوي للسرد، منح بنكراد الباحثين أفقاً واسعاً ومرناً لتأويل العلامات الثقافية .

3-1-2- التباين في الأولوية المعرفية: تأسيس المصطلح أم تعميق التأويل؟

لم يقتصر التمايز على الجانب المنهجي فحسب، بل شمل الأولوية التي منحها كل باحث لمشروعه المعرفي:

- **الأولوية عند رشيد بن مالك:** تمثلت في **الضبط المصطلحي** و**التأسيس الإجرائي**. لقد رأى بن مالك أن البحث العلمي السليم يبدأ من توحيد اللغة النقدية، فكرّس جهده لتعريب المصطلحات وتثبيتها، ثم تطبيقها بدقة عالية على المتن السردي. فكان تركيزه منصباً على "**كيفية قول النص**".
- **الأولوية عند سعيد بنكراد:** تمثلت في **التوسيع التأويلي** و**التوطين الثقافي**. لم ينشغل بنكراد بنفس القدر بقضايا توحيد المصطلح بقدر انشغاله بإظهار القوة التفسيرية للسيميائية في فهم ظواهر الحياة اليومية والخطابات غير اللغوية. فكان تركيزه منصباً على **ماذا يعني النص في السياق؟**.

3-1-3- التكامل المعرفي: خارطة السيميائية المغاربية المتنوعة

على الرغم من التباين الواضح، فإن المشروعين لا يمثلان حالة تضاد، بل حالة **تكامل معرفي** قل نظيرها في حقل التلقي العربي. فالمقاربة السيميائية المغاربية المعاصرة، كما تكشف عنها هذه الأطروحة، تستمد قوتها من هذا التنوع:

- **بن مالك** يغطي الجانب **البنيوي والدلالي** للنص.
- **بنكراد** يغطي الجانب **التأويلي والتداولي** للعلامة الثقافية.

وبهذا التكامل، فإن الباحث المغاربي يمتلك الآن أدوات تحليل صارمة للنصوص (سيميائية سردية) وأدوات تأويل مرنة للثقافة (سيميائية تأويلية)، مما يجعل السيميائية المغاربية نموذجاً للتعامل النقدي الواعي مع النظريات الوافدة، عبر تبيئتها في حقول معرفية متعددة .

3-2- الحصيلة المعرفية والأثر الأكاديمي للمشروعين

3-2-1- الأثر في التداول الأكاديمي وتدريس السيميائية

لم يقتصر الأثر المعرفي لرشيد بن مالك وسعيد بنكراد على التنظير والتطبيق في مؤلفاتهما الخاصة، بل امتد ليُشكل عمقاً في التداول الأكاديمي داخل الجامعات المغاربية والعربية. فقد أصبحت أعمالهما بمثابة **مواد مرجعية أساسية** في تدريس مساقات السيميائية والنقد الحديث:

- **تثبيت المنهج:** ساهما بشكل مباشر في تثبيت المنهج السيميائي كأداة تحليلية موثوقة وموضوعية، ما أدى إلى تزايد البحوث والأطروحات الجامعية (ماجستير ودكتوراه) التي تتخذ من المقاربة السيميائية إطاراً لها.
- **تكوين الأجيال:** أشرفا على عدد كبير من الأطروحات التي عمقت البحث في حقول السيميائية المختلفة، ما يمثل دليلاً على **الامتداد العلمي** لمشروعيهما وتأثيرهما في تكوين جيل جديد من الباحثين المتخصصين .
- **تجاوز الحاجز اللغوي:** عملهما في التعريب والترجمة، خاصة بنكراد، سهل وصول النظريات السيميائية المعقدة إلى الباحثين غير المتقنين للغات الأجنبية، وبالتالي، ساهما في دمقرطة المعرفة السيميائية.

3-2-2- تقييم الإضافة النوعية للمكتبة السيميائية العربية

قدم المشروعان إضافات نوعية ومحورية للمكتبة السيميائية العربية، يمكن تلخيصها في أربعة محاور أساسية:

الإضافة النوعية	رشيد بن مالك	سعيد بنكراد
على مستوى المصطلح	**وضع قاموس متخصص ساهم في توحيد لغة الحوار الأكاديمي للسيميائية السردية.**	

على مستوى التكنيك	**إثبات نجاعة الأدوات الغريماسية في تفكيك النصوص السردية العربية التراثية والمعاصرة.**	
على مستوى المنهج		**نقل المرجعية البيرسية التأويلية وتوطينها، وتأكيد أهمية البعد التداولي.**
على مستوى المجال		**توسيع مجال السيميائية ليتجاوز الأدب نحو الصورة، الإشهار، والثقافة البصرية.**

لقد تحول المشروع المغاربي، بفضل جهود الباحثين، من مجرد متلقٍ للنظرية إلى **شريك منتج للمعرفة**، حيث أصبحت أعمالهما تُدرَّس وتُقارَن في سياقات نقدية أوسع .

3-2-3- آفاق البحث المستقبلي: القضايا غير المحسومة

تفتح النتائج التي توصل إليها الباحثان آفاقاً جديدة للبحث، وتُبقي على قضايا تحتاج إلى مزيد من التعميق الأكاديمي:

- **قضية التكامل المنهجي**: هل يمكن بناء **نموذج سيميائي هجين** يستفيد من دقة التحليل البنيوي الغريماسي (بن مالك) وعمق التأويل التداولي البيرسي (بنكراد) في آن واحد؟
- **السيميائية الرقمية والثقافية الحديثة**: مدى قابلية أدوات بنكراد لتحليل الظواهر الثقافية الجديدة في **الفضاء الرقمي** و**وسائل التواصل الاجتماعي**، وكيف يمكن تطبيقها على الرسائل المركبة فيها.
- **دراسات مقارنة أوسع**: الحاجة إلى إجراء دراسات مقارنة بين التجربة المغاربية (بن مالك وبنكراد) والتجارب السيميائية المشرقية لتقييم الحصيلة العربية الشاملة في هذا المجال (رشيد بن مالك 2024) .

خاتمـــــــــــــة

انطلاقا من الإشكالية المحورية التي سعى هذا البحث إلى معالجتها – حول مدى قدرة المقاربة السيميائية المغاربية المعاصرة على تأسيس نموذج تحليلي يجمع بين دقة المنهج وخصوصية الأنساق الثقافية، من خلال نموذجي رشيد بن مالك وسعيد بنكراد – فقد أفضت الدراسة إلى مجموعة من النتائج العلمية يمكن إجمالها فيما يلي:

النتـــــــائج المتوصل إليها

- **تحقق التمايز المنهجي والتكامل المعرفي**: أثبتت الدراسة أن المقاربة السيميائية المغاربية لا تتسم بالوحدة المنهجية، بل بالثراء والتنوع. ففي حين قدم مشروع **رشيد بن مالك** نموذجاً للالتزام الصارم بـ **السيميائية السردية الغريماسية**، مقدماً أداة تحليل دقيقة للنصوص التراثية والروائية، اختار مشروع **سعيد بنكراد** مسار **السيميائية التأويلية البيرسية**، ليُقدم أداة مرنة لتحليل الظواهر الثقافية والبصرية.
- **تأصيل المصطلح**: نجح رشيد بن مالك في التحدي المصطلحي عبر وضع **مدونة معجمية** (القاموس السيميائي)، ما أسهم في توحيد لغة البحث وتسهيل التداول الأكاديمي للمفاهيم السردية في البيئة العربية.

- **توسيع مجال التطبيق**: تجاوز سعيد بنكراد حدود النص الأدبي المغلق ليُبين القوة التفسيرية للسيميائية في تحليل **الصورة والإشهار والأنساق الثقافية**، مؤكداً على البعد التداولي لإنتاج المعنى (السيميوزيس) في المجتمع المغاربي.
- **تجاوز النقل إلى التوطين**: أثبتت الأطروحة أن جهود الباحثين لم تكن مجرد نقل أو ترجمة، بل كانت عملية **توطين وتبيئة** للنظرية؛ حيث تم تكييف أدوات التحليل مع خصوصية المتون العربية (سردية وثقافية)، ما منح المقاربة السيميائية المغاربية هويتها الخاصة.
- **الأثر الأكاديمي**: شكلت أعمال الباحثين مرجعية تأسيسية في الجامعات، وأسهمت في تكوين جيل جديد من الباحثين المتخصصين، **ما يعكس الأثر العميق والممتد لمشروعيهما**.